

بلغ « قنديل » من الإعياء درجة التخادل ، حتى أنه فكر بلا وعي أن يجلس هنا في هذا البستان المستدير بميدان الخازندار ، أو هناك على الرصيف ، أو في وسط الشارع حيث تدب ساقاه .. وليكن ما يكون ؛ فليمزقه الترام ، أو لتدهسه سيارة ،

قنديل

قصة بقلم سليمان فياض

.. ارجع لها يا قنديل . لا يمكن كرامتي .. هي الكرامة لعبة ؟ .. الموت أحسن . منذ أسبوع جاء البرعى إلى اللوكاندة ، وصلاح نفسه عليك ، وأعطاك الكارت . أنا أعرف السبب . بنت أخيه بايرة ، يريد أن يزوجهالي ، لكن بضب ،

وأنا ما شأني ومصائب الناس ، وأولادي منها يولدون بضب مثلها . ويا وقتك إذا كان المولود بنتاً . مستحيل . الموت أحسن . البرعى يريد أن يضحك عليك بكارت ؟ (بعده) . ما حدث أحسن لك . لم يقدر على أن أكون أسيراً لجميله . التوصية فشلت . كم أحب أن أرى وجه البرعى وأنا أخبره بالفشل . الفشل ؟ فشل من ؟ .. إنه فشلك أنت ، لا فشل البرعى !! « وسقطت ساقه اليمنى في فجوة بين بلاط الرصيف المهشم - ورنرت القروش الباقية في جيب بنطلونه ..

« .. خمسة فضة ، وقرش أحمر ، وقرش أبيض مثقوب . ليتني أنام في بيت أمي على الحصير ، في الصلاة ، وأوفر على نفسي هذه القروش ، هذه القروش ، وتأكل كبداً ومكرونة ، وتشرب شاياً على القهوة ، وتدخل سبياً ، و ... تطلب شاياً على حسابك ، مثل زمان ، لأي مخلوق ، وتسهر إلى نصف الليل مع أولاد بولاق ، تشرب معهم الشاي العربي المزروود . آه . لو أستطيع أن أذهب إليهم الليلة ، وأغرق معهم في سيرة البنات .. البنات ، والعمل ، ومعارك الفتوات . البرعى ابن دين الـ . لم يعرض عليك ، حين جاء ليصالحك ، أن تذهب معه إلى البيت ، لا تستطيع حتى أن تذهب إلى البرعى لتخبره بالنتيجة ، وتسمر مع أولاد بولاق ، وتعود آخر الليل ، لا تقدر أن تمشي إلى بولاق ، ولا أن تركب الترام . ليس معي سوى أجرة الليلة . الليلة . خير لك ألا تذهب ، حتى لا ترى أم ضب بأسنانها الصفر »

وبلغ قنديل مدخل اللوكاندة ، ورفع ساقه اليمنى على درجة المدخل ، وأخذ مفتاح الحجر (٦) من لوحة المفاتيح السوداء . وطرح لم علي كل ما يجيبه من قروش . وتوارت خلفه وهو يصعد السلام : الأريكة الخشبية التي يجلس عليها عم علي ، والمكتب المتقاعد المسود . وببطء ، كانت تتراجع من تحت ساقيه درجات السلم الخشبية الضيقة ، المنحولة الأطراف ، واستمر في نقل ساقيه على بلاط الصالة المددش . عن يساره المنافع . وعن يمينه جدار الحجر (٥) الطويل ، بلا نافذة ولا باب . وأرجع قنديل باب الغرفة (٦) خلفه . وترك الحجر مظلمة . وأوشك أن ينطرح على السرير ، بالبنطلون الكاكي ، والقميص الحريري الطويل ، غير أنه تذكر أنها ملابس عباس ، الملابس التي استعارها منه منذ أيام ..

« .. سلفة شووم . لقد ضاعت المكوى منها . لا أم لك ما أكوها به قبل أن أعيدها إليه ، يكوها عباس ، تكويها أخته « سكينه » . عباس له بيت ، له أخت حلوة . ويل من شفيتها الملائتين بالشهده . رأيها مرة في السبنا . وانتظرتها على الباب قرب نهاية الرواية . مشينا ساعتين على شط النيل في الظلام . كانت تنبر الشارع ببياضها . يا وعدني على عودها . لم يكن معي غير قرش واحد . اشترت له ايه نرمساً وحلبه . طلبت (أبو الفرو) . جعلت أني لم أسمعه . حاولت أن أرجع بها بعيداً عن بائع (أبو الفرو) لكنها أخرجت محفظتها الحمراء الصغيرة من فتحة الفستان ، فوق نهدتها ، واشترت بقرش . سكينه

كله واحد : أن يجي ، ان يموت .. كله موت . ولكنه ظل ينقل ساقيه ، وينقل معها نفسه ، حتى اجتاز الميدان . كان يائساً من حياته ..

« .. حياتي ؟ .. هه . كان يمكن أن تكون حياً لو كنت تأكل شيئاً آخر غير سندويش الفول والطعميه مرة . لو كان لك بيت ومستقبل وأصحاب يعينونك على الزمن ، وتعينهم عليه . لقد عشت على الأمل في أن تعطيني الدنيا ، حتى ضاع كل شيء من يدي . الناظر الملعون هو الذي أضاع منك كل شيء . الله يحرقه بجاز . كارت التوصية من أخيه ، لم يلتفت إليه إلا ليعتذر ، لأنني بدون شهادة . شهادة ؟! الشعب بدون شهادة . يموت لأنه بدون شهادة ؟ شهادة ؟ هل الشهادة هي التي تقوم بالنجارة أم النجار ابن الكار ؟ لقد قلت له اني أعرف القراءة والكتابة ، وإذا كانت وظيفة نجار بمدرسة تحتاج إلى شهادة ، فأنا على استعداد أن آتبه من الورشة بشهادة تشهد بأني نجار ابن كار . حضرة الناظر ضحك ، حضرته يريديني بشهادة من مدرسة الصنائع من قسم النجارة . قلت له :

— يا بك . عندنا في الورشة نجار معه شهادة المدرسة إياها . لكن أقل صبي في الورشة نجار ابن كار أحسن منه . إسأل المعلم صاحب الورشة يا بك .

الناظر طبعاً منفوخ . قال لي :

— انت فضولي . كفاية فلسفة .

قلت له :

— يابك . أنا من طرف أخيك . اجعلني فراشا بمدرسة .

طردني من بيته دون أن يتفاهم معي . لكن الحكاية حكاية حظ . أنا خنت أن بينه وبين أخيه خلافاً على تركه ، أو بنت ، ما المانع ؟ ليتني كان لي أخ ، وكنت أنا ناظراً من الحكام ، كان لا بد وأن أكرم أخي ، وأحترم توصيته على كل من يوصي به ، مها كان بيننا من خلاف .. الحكاية حكاية أصل ، قليل الأصل الله يحرقه بجاز .. جاز واسبرتو وبززين !!

آخ .. لو كنت قد كسرت نفسي ، ولم أنو السكن بعد الوظيفة بعيداً عن أمي وعن زوجها البرعى ، ربما كانت الوظيفة من حظي . من الجائز يا قنديل أن البرعى رجل ولي ، لم يشأ الله أن تغدر بوعده له ؛ الرجل أعطاك توصية وشقي حتى حصل عليها ، لم يكن من الذوق أن تنوي الغدر به . مقدر وكتب « حظ » زهر . ولكن ، هل هو ولي حقيقة ؟ .. رجل يصلي ، ويقراً الأوراد ، ومعه الطريقة الرفاعية ، لا بد وأن يكون .. لكنه يضرب أمي ، يضربها أمامي ، تستحق . لماذا تزوجته بنت الـ ... !! ؟ . عندما كان يضربها ودمي يغلي ، وأجب أن أضربه ، كانت تدافع عنه ، وكانت تبكي بكاء حزيناً . ضربتها مرة ، حين حاولت أن تمنعني من ضربه . كان دمي فائراً . طردتني من بيتها و .. بيته . من أيامها وأنا أدفع سبعة قروش في اللوكاندة ، أجزاً ليلة واحدة . ليلة واحدة يا عالم . ضيقت رزقي بنت الـ !!

بالوحدة . وبأنه متعب لا يريد النوم أن يغمض جفنيه ، ويربحه من الفكر .
وتذكر آنثذ « محموداً » زميله في الغرفة « ٦ » منذ أسابيع ..

« .. لماذا غاب حتى الآن وأنا في حاجة إليه ؟ لو كان قد جاء الآن كنت
أشتكي له الدنيا . أوه . محمود سافر . الله يعافيه . ستذهب للورشة بدون فطور .
لو كان محمود هنا لخل مشاكلك وأعطاك ما تفتقر به . اتذكر يا قنديل يوم أن
كنت على (الحديدية) ؟ . كنت مهموماً من الفقر ، ورجعت ماشياً من خيارة
الظاهر إلى اللوكانده . وكنت جائعاً ، حتى أجرة اللوكانده ليست معي ،
ويومها ، بعد كلمة من هنا وكلمة من هناك ، دفع لي محمود أجرة اللوكانده
وثن العشاء . وسألني عما يضايقني . أنا أحببته جداً . ومحمود كان يتمنى أن
يكون معه قرشان ويفتح لي تجارة . محمود يطلب العلم بالجامعة . ابن حلال .
لكنه سافر وتركك تغرق . سافر . طبعاً !! . كل واحد يبحث عن
نفسه ويشيل مشاكله . حتى محمود يجري وراء قرشه . لسانه حلو
صحيح . لكن ما فائدة الكلام ؟ . هه . كلام . كل واحد يبحث عن

عرفت طبعاً أي أفقر من (دبور) لأنها عرضت علي ورقة بخمسين قرشاً . رفضت
طبعاً ؛ عقلي لا يسمح لي أن أخذ قرشاً من امرأة . عباس يعملها . لكن ، أنا
غيره . رجعتنا على أقدامنا إلى بولاق . عرضت عليها أن تترك الأتوبيس .
قالت لي :

— وانت ؟

قلت لها :

— الليلة القمر طالع ، والمشي في نوره جميل .

قالت لي بعتب :

— وتمشي وحدك ؟ أنا معك للبيت .

آه . لو تقدر أن تزوج سكينه ، تنسى الدنيا وهمومها . لو أن أمك دعت
لك . أمي . أمي . دائماً أمي . بنت الحرام لا تستحق التفكير فيها ، كانت
أمي . وكانت طيبة قبل أن تزوج البرعي . كانت تحبك وحدك . أكاد أجن
عندما أنصوره معها في حجرة واحدة . مع رجل غير أبي . سلبها عقلها ابن
اللائمة »

كان قد وقف عارياً الا من ملابسه الداخلية . وانطرح على ظهره فوق
السرير ، الذي يزيق من تحته . رأسه على الوسادة الازجة العارية .
وجسده المهزول يفوح بعرقه الناضح . وساقه اليسرى مددة من تحته ، واليمنى
مشنية إلى فخذ تروح وتجيء من يمين إلى شمال ، ومن شمال إلى يمين . وعيناه
تنظران إلى لا شيء ، في سقف الحجر ، إلى مصير مبهم من خلال صورة
الغرفة في رأسه : الغرفة المثلثة ، المخنوقة بحرارة الصيف ، الضيقة بأسرتها
الحديدية الثلاثة ، كأها هياكل في مقبرة . وأنفاسه خافتة حارة ، تجذب
نحوها (الذهب الأحمر) برائحته الثقيلة على الجدران الصفراء . ومن وراء
النافذتين المطلتين على الشارع ، راحت أشعة عشرات المصابيح تنبعث ساطعة
طليقة ، حتى تجتاز فراغ النافذتين ، فيصيحها الشحوب ، وترسم لأعمدة
الأسرة عدداً من الظلال المتراقصة على الجدران الصفراء . وبين حين وآخر ،
كانت تلك الظلال تتذبذب وتتقاطع وتظهر وتختفي ، مع حركة السيارات
والترام في الشارع الصاخب . ومن وراء الباب المغفل ، وعبر ثقب مفتاحه ،
كانت تتسلل رائحة عفنة ، يدفعها هواء نافذة (المنافع) البحرية إلى أنفه .

« .. لا يمكن . لا يمكن لاحد أن ينقلك ، حتى ولا سكينه . سكينه بعيدة
كالنجوم . سكينه بالقرش . القرش كل شيء في الدنيا . معك قرش تزوج
سكينه ، وتسكن في بيت ، وتنزله ، وتضحك ، والدنيا تجري وراءك .
بدون قرش ، الدنيا عقدة على قلبك . كانت كل نعمة في يدك لو كان الناظر ..
الله يحرقه بجاز . سكينه حلوة ، طلابها كثيرون . حالا تزوج سكينه وتفر
منك ، سكينه . عباس يعزك لكن الفقر باب يحجز بينك وبين أخته . أجرتك
في اليوم ١٥ قرشاً . واللوكانده بطبها واسع . سكينه عاقلة ، تملك ، وتدبر
بيتك بأجرتك وهي مستريحة . بيوت كثيرة في بولاق تعيش على ستة أو سبعة
قروش في اليوم . لكن أمها طالعة القلعه بخلاوتها . لا ترضى لسكينه إلا برجل
بيته مفتوح بسبعة أو بثمانية جنيهات . سكينه تستحق أكثر يا قنديل . لكن
النصيب . آه . لو رجعت أيام زمان . كنت تزوجت سكينه عند مطلع الشمس
المعلم صاحب الورشة طماع . طمع في زيادة الانتاج . خصم من كل تجار نصف
يوميته ، وأعطاها عامل جديد . دولة كلها نصب : مكتب العمل ، النقابة .
الحكومة نفسها مع المعلمين . وكلنا في أيديهم ليمون . ليمون !! »

وسمع قنديل عم علي يسمح بلاط الصالة أمام مدخل الحجر . أحس آنثذ

اروع ما كتب إحسان عبدالقدوس على الاطلاق

الطبعة
الثانية
من
قصة الموم

لله انام

القصة التي تحاطفها ايادي
السياب والسبات ففدت
طبعها الاولى في اقل من
شهر واحد .

الثن ٥ ليرات لبنانية

التوزيع لجميع البلاد العربية

المكتب التجاري - بيروت

اللقط

[يولد الانسان أغنى منه يوم يموت]
« يوميات مراهق »



أقسم

بالشمس تشرق ثم تغم

بأبي ، أليك ، وبالذي في الصمت باسمينا يغمم

ولدي ، بغرس يدي ، بمن في عامه الثاني يتمم

لم يدر من هي أمه ، وأبوه ، أيهما يكلم

هو والخطيئة في دمي ، نشأ معاً ، واتت تنم

وترعرعا في ليل عار قاتل كاللحد مظلم

أبلا أب هو أم بلا أم ، يكاد الشك ياجم

كل الصغار لهم أب ، فعلام أخطأه المقسم ؟

* * *

وتظل في عينيه ، تصرخ حيرة أبداً ترجم

متلفتاً أبداً الي ، اليك في قلق يهدم

متصفحاً عنا وجوه الناس ، يدنو ثم يحجم

لا يا صغير ، أصبت ، لا ، أخطأت أمك لا تعلم

غلت الدموع بناظريك فقل لكفك أن تلمم

لم تفش سر خطيئة زلت بها يوماً لتأتم

عشقت أباك وخانها ، فهوت ، وكان يظن أغرم

:: :: ::

ذاك الصغير أنا أبوه ، أيدري أن أباه مجرم ؟

صفاء الحيدري

بغداد

هنسه لا عن الناس : أمك . سكينته . البرعى . أم عباس . حتى أنت . كل واحد : أنا . وملعون أبو الدنيا . سمك . سمك يأكل بعضه . الدنيا مثل البحر . محمود سيفكر في نفسه أو فيك . أنا أحبته جداً . كان معه (شنتطة) فيها كتبه وملابسه كذا «غيار» ولا يحافظ عليها . وكنت أقول له :
- نزل (الشنتطة) عند عم علي . اولاد الحرام في اللوكاندات كالنمل .

أنا طبعاً لا أمد يدي إليها . صحيح أنني لا أملك سوى غيار واحد . لكن . لا أسرقه . من يسرقه أقطعهُ بأسناني . تنقطع اليد التي تسرقه . آه . محمود سافر وتركك وحذك للأرجل تدوسك !!

كله من أمي . أمي . والبرعى ، والمعلم . ظلم . ظلم أن تعيش في بلد مقلوب حاله . الموت أحسن . لو كنت خشباً كنت قطعت نفسي بالقدم . كوبري قصر النيل ، البحر تحته واسع !! لكن . ربما لا يراك أحد . لا أريد أن أنقذ من الموت . أريد فقط ، أن تنشل جثتي وتدفن ؛ ربما لا يعثر عليها الناس . لا ؛ الترمواي أفضل . لكن رقبته ستقطع . والناس ستفرج عليك ستحرم من عينيك . ولن ترى . ولن تسمع الكلام . و.. سكينته . وأن تمشي . وأن تنام وتصحو . الدنيا عزيزة . كيف تركها حتى ولو كنت فيها ليمونة . وكانت فيها أمي . والبرعى . والمعلم . السرقة أفضل . اسرق وعش . تسجن . تتشرد . لا يهم . المهم أن تعيش . لكن . من تسرق ؟ المعلم ؟ عنده خزانة حديدية لا تفتح ، اللوكاندة ؟ على الشارع . لا أحد تسرقه . ليست هناك فرصة . فتفتش كما يكون . من اللوكاندة للورشة . ومن هناك إلى هنا . هنا ؟ هه . تنجر . و.. سندويتش . وتنام . وتنجر . وتحو . س .. الد .. ن .. يا .. يا .. آآآ .. س

**

كانت الدنيا ساكنة تماماً عندما استيقظ قنديل قبيل الفجر بقليل : الترام . السيارات . الأرجل الكثيرة . المحلات المغلقة . صمت ساحق ذلك الذي يسود شارع (كلوت بك) . مصابيح الطريق . كركرة عربية (كارو) وأرجل الخيل . طرقة قباقيب العجايز وتمائمهم في طريقهم إلى المسجد الأحمر . هذه فقط كانت بشائر يوم آخر كسائر أيام قنديل .. كانت ساقه اليمى مثنية إلى فخذه ، واليسرى ممددة من تحته . كما لو أنه لم يتقارب مرة في نومه . وبدأت ساقه اليمى تروح وتجيء في كسل وصحوة أيضاً . وكان في رأسه ذلك الوعي وهذا الشات اللذان يمارسهما من يستيقظ من نوم عميق . وطوى قنديل المحاف بين ساقيه وذراعيه . وأخذ يضغظ عليه في حنان ..

« .. هيه . يوم آخر . كرهت التجارة . وكرهت نفسي . وحدة . تكرار صرفت كثيراً في أحلامي . كانت معي سكينته . وعندما ضممتها إلي وجدتها المعلمة «فتوحة» .. هه . تخاريف . أشعر بالجوع . كأن قلبي يغور ويسقط في بطني . عصافيرها طائرة . سأذهب بدون فطور . ربما يعطيني صاحب الورشة على الحساب ما أظفر به . منذ زمان .. وأنا لا أشرب شاياً في الصباح . تفوج ، لا أحد يموت من الجوع . يظهر أن أحداً قد نام معك الليلة ، دون أن تدري به .. هس .. هذه الأنفاس ... »

وشبك قنديل أصابعه خلف رأسه ، ورفعها قليلاً إلى خاف ..
« .. شخص آخر في سرير محمود . بارد . لماذا ينام مكانه ؟ أوه . يبدو أنه محمود . (توكة) حزام بنظونه تلمع على ضوء عمود النور . بنظرون محمود النبي . هو بالتأكيد . لماذا عاد ؟ فرجت يا قنديل . ما عليك إلا أن تنتظر حتى يسير أول ترمواي في الشارع . سيعطيك ما تفطر به . إنه

- التمة على الصفحة ٩٤ -

بالنصف جنيه . وسياً خدمته الكمساري
قرشاً ، قرشاً ليس له ؛ لأنه ليس
اقتديله نفسه ، لم يكن يعرف بعد ،
ماذا عليه أن يفعل . وكان الكمساري
يتجه نحوه ..

وقف قنديل فوق الأسفلت الندي ،
كانت تعلوه طبقة من الرماد الميتل .
كان العالم مضجاً بلون طباشيري
رطب . أحس بالورقة ثقيلة في يده

كقطعة من الرصاص . كأنها تتللمل . كان لها وجود حي في يده .
كانت كفه المطبقة تحس بكل جزء منها . كانت دافئة وسميكة ، إلى حد لم
يسه لحظة في أية ورقة نقدية أخرى . ببطء ، راحت أصابعه تفتتح
وتغلق بنشج على الورقة الغريبة . استند باعياً إلى عمود المحطة . كان في بطنه
فراغ مؤلم . أحس برغبة في أن يتقيأ من جوفه هذا الفراغ ، ومن فمه هذا الطعم
المانع المر ..

« .. أوه . إنه طعم الحرام . ليس هذا حقي . أبداً . أبداً . يجب أن تعيده
إلى صاحبه . ولكن سكينه ، وأن تأكل ، وأن تشرب .. أف . سكينه . سكينه
ملعونة ، سكينه إذا كانت ستجعل مني لصاً . إذا كانت ستجعلني أحس في فمي ،
دائماً ، طعم الحرام . ليس من حقلك يا قنديل ، أن تسرق ، حتى ولو كنت
جانعاً ، حتى ولو كان ما تسرقه حقلك ، ولو كان من المعلم نفسه . يجب أن
تعيد هذه الورقة إلى صاحبها ، إلى محمود . محمود لم يسرق هذه النقود منك
يا قنديل ، ولا من غيرك ولا من غيرك . هيا يا قنديل . هه .. لكن . ماذا
تقول لمحمود ؟ لقد صحا الآن ، وعرف . ربما كان يلبس ملبسه . ربما
عرف الآن أنك سرقته . مزقها وانثرها في الشارع . ارمها بعيداً عنك . أوه
أوه . ستظل سارقاً مع ذلك . لا بد أن تعيدها إلى صاحبها . ومن يدري يا قنديل .
ربما كان محمود الآن في الحمام . أو أسرعت فسوف تعيد هذه الورقة إلى
جيبه ، دون أن يعرف . ربما أعطاك ما تفتخر به ، وما تشرب به شايًا . أكيد
أنه سيفعل ذلك »

قفز قنديل فوق رصيف المحطة . أخذ يعدو في طريق اللوكاندة . أحس
بالحرارة تسري في جسده كله ، وبالورقة تحف في يده ، وتكتمش . حين
اقترب قنديل من باب اللوكاندة ، راح يسير بخطوات عادية ، متوارياً خلف
العمدة . كانت تتناوب على ساقية دوائر حارة ، وأخرى باردة . كان هذا
يحدث له كلما جرى . راح قنديل يصعد السلام الخشبية ، بهدوء . مع صوت
الماء ينحدر من الدش كدذاذ المطر ..

« .. من المؤكد أنه محمود »

ابسم قنديل وارتجفت شفتاه بحجل وخوف ..

« .. ربما لم يكن هو .. محمود »

لم يجد أحداً بالحجرة (٦) . كان إذن في الحمام . كان البنظون ما يزال فوق
الشيء ..

« .. هه .. هه .. لم يعرف شيئاً بعد . أعده الآن في موضعه . داخل الجبة .
ثلاث طيات . كما كان . لكن . لا .. ينبغي أن يعرف ماذا فعات . لا . لا ..
لا ينبغي أن يعرف شيئاً . بل ينبغي أن يعرف يا قنديل . أن يعرف أنني أحبه .
أنني عدت ثانية لأنني لست سارقاً . أود أن أعطيه له بيدي ، يدي نفسها . آ ..
لن تأكل يا قنديل مع سكينه . هيه .. هكذا الدنيا . لكنني ، على أي حال ،
لن أذهب بدون فطور ولا شاي . إنه طيب . حتى لو أخذته وذهبت فسوف
ينفق كله اليوم . ان يبق لي غير طعم الحرام . آخذ يا قنديل ، ستصير سارقاً ؛

قنديل

— تمة المنشور على الصفحة ٣٠ —

يمطي ولا يأخذ . أنا لا أخجل من
ذلك . عليك له ربع جنيه . رفض
أن يأخذ منها قرشين مما علي . وقال
لي أنني أخوه . ترى كم يحمل في جيب
بنظونه ! لم تره مرة مفلساً . دائماً
جيبه عامر . يأكل عنياً بعد الأكل .
انظر ما في جيبه . لن آخذ شيئاً . ماذا
لو انتبهت؟ سيظنك تسرقه . شاب طيب .
لن يقول شيئاً . سينظر فقط بغضب .

لا أعرف . قد يضحك . البعد عن الكسوف غنيمه . جاء متأخراً .
لن يصحو الآن . عندما يمشي أول ترام فقط يصحو . يا أخي . يا جبان .
جيب البنظون ناحيتك على الشباك . فيه الفلوس . انظر كم معه؟ مجرد معرفة ..
هس . لا فكة معه حتى تسقط من الجيب . ورق مطوى ثلاث طيات . هنا
على نور الشارع . أوه .. جنيه ونصف . أجرتك عشرة أيام . لا فكة معه
حتى يمطيك ما تفتخر به !! .. عندما يصحو ، سيرتدي بنظونه البني وقميصه
الرمادي الطويل . ويسلم عليك ، ويمضي ، يسافر . ولن يعود . سينسك .
من أنت عنده ؟ مجرد زميل في اللوكاندة عرفه . سيسافر هذه المرة ، ويتركك .
نصف جنيه يكفي . نصف فقط . لو كان معه أقل . حظه . سيبقى معه ما
يسافر به إلى المنصورة . نائم . له بيت . لم يتحرك بعد . لكن اليد التي أطعمتك
تحونها . لا . حرام . نذالة . لكن فطورك . غذاءك . السيئ . القهوة .
السجائر . سكينه . سكينه يا قنديل . أكلة مغذية تأكلها مع سكينه وأم عباس ،
وتذهب معها إلى السينما بسرعة . ستندم لو تركته . النهار شقيق . بسرعة .
سيصحو . حرام . نذالة . خواف . جبان . سيرتك . سينسك . لن يبق .
ربنا يراك . هو يعرف حالي . سيفغر . أنا أعرف أنه سيفغر . أول ترام .
صوته يقترب من بعيد . هه . أرجع الجنيه . لا بد . ما زلت أحبه . لن أدعه
مفلساً . بسرعة .. »

وفي حذر وسرعة ارتدى قنديل ملابس عباس . وانسل في رفق .
وأخذ ينحدر على السلم ..

« الترام يقترب . لقد صحا وعرف . عرف . هو ينظر اليك من أعلى
السلم . عيناه غاضبتان صاحكتان . لا ترفع رأسك . هس . عم علمي نائم . خير
.. على الرصيف . لا تخرج إلى وسط الشارع . سيرك من النافذة . الأعمدة
على الرصيف تواريك عن عينيه . لا ترتعش . إجر . إجر .. »

ولحقة الترام . فاتحه إليه وقفز إلى جوفه ، دون أن يعرف رقمه ، ولا
إلى أين يسير ..

« .. هيه . لم تغسل وجهك . كفى ارتعاشاً . عملية سهلة . اللوكاندات
كثيرة . لن أذهب إلى الورشة اليوم . سكينه . المرة القادمة . لن أترك مليماً .
الكل يسرق . ولن أدع أحداً . حتى ولو كنت أحبه !! »

**

نزل قنديل من الترام في المحطة الثانية . لم يكن يعرف لماذا نزل الآن ؛
فقط ، كان (الكمساري) يتحرك نحوه . وكانت يد قنديل مطبقة بشدة على
نقود محمود . وتصور قنديل : انه الآن ، في تلك اللحظة ، سيمد يده

فمن يسرق البيضة اليوم ، يسرق الدجاجة غداً ، وبعد غد ، سوف تسرق
الجنل يا قنديل .

.. كان محمود يقف أمامه الآن . لم يزد على أن قال له :

— صباح الخير يا قنديل

لم يحبه قنديل بكامة . كانت اللحظة المخرجة قد دنت . لم يره وهو داخل ،
كان ثمة خجل غامر قد اعتراه . راح يتطلع إليه مصفر الوجه ، ينتظر اللحظة
التالية فقط . كان محمود يتطلع إليه بدهشة . كانت قطرات من الماء تتساقط من
خافة المشط ، بين لحظة وأخرى . مد قنديل يده بارتجاف . فتحها أمام محمود .
قال له آتشد بخجل :

— لقد .. لقد سرقته .. منك .. خذ .. خذ .

في البداية ، تطلع إليه محمود باستغراب ، ثم راح يبتسم فجأة ، وراحت
بسمته تزداد اتساعاً في صفحة وجهه . بينما اختلست عينه نظرة عابرة إلى
بنطلونه هناك . همس قنديل لنفسه بمرارة :

« .. انه .. إنه يضحك عليك يا قنديل . يضحكك ! حتى هو ؟ كان ينبغي

أن يفهم »

كان يتوقع أن يتلقى محمود اعترافه باكتراث ، أن يشاركه إحساسه
بأخرمة . ولكن ، ها هو يضحك الآن . هتف فيه قنديل بعنف :

— لا تضحك . خذ . خذ بعيداً عني . قلت لك خذ .

اختلست الابتسامة على القفور . وامتدت يد محمود لترت على كتفه ، وهو
يقول له :

— إنه لك . أنا أعرف لماذا سرقت . أخذته !!

أحس قنديل بضيق هائل من هاتين اليدين . كانت إحداها ترتب على كتفه .

وكانت الأخرى تطبق يده على القفود . فكر قنديل بحزن : انه ، الآن ، بين

هاتين اليدين ، طفل صغير ، يهدد ، كما كانت أمه تفعل معه . ان محموداً ،

الآن ، يمنحه هذه القفود ، ذات القفود التي سرقها . في تلك اللحظة ، طفرت

إلى رأسه هذه الفكرة فجأة ، ودونما مرر :

« .. المعلم نفسه يسرق . يسرقنا جميعاً »

ولتو ، طفرت إلى رأسه ، صورة طابور طويل من العمال ، يمرون

واحداً بعد آخر ، أمام المعلم صاحب الورشة . كان المعلم يقف منتصباً بكرشه

الضخم ، بعنقه الغليظة . كان العمال يمرون أمامه في صف طويل كالأشباح .

بينما راحت تتقاذف فوق أيديهم هبات المعلم من (الكستور) واللم ،

كعادته معهم في كل عيد .

رفع قنديل رأسه ناظراً إلى وجه محمود . لم يكن يشبه وجه المعلم مطلقاً .

لكن هذه اليد التي تطبق له أصابعه . إنها يد المعلم ، اليد التي تحسن إلى الآخرين

مع فارق واحد . أن الأخرى تسرق باليمين وتعطي بالشمال . أما هذه ،

فتعطي ولا تسرق ..

« إن مثله لا يسرق الآن . ربما يسرق غداً ، حين يذوق طعم الليمون !! »

وطفرت في رأس قنديل صورة غريبة . كان ثمة سلم ترابي اللون ، يمتد

وسط فراغ مظلم . في أعلاه كان المعلم واقفاً بكرشه الضخم وعنقه الغليظة . في

أسفل السلم كان قنديل منظرخاً على الأرض ، بوجهه . ويداه تشبثان بالدرجة

الأولى في السلم الطويل . بينما كان محمود واقفاً في الوسط . لم يكن قنديل

يرى منه سوى جانب من وجهه . أما الجانب الأخر ، فكان ناحية المعلم .

حتى عينها محمود ، كانت أحدهما تنظر إليه . يقيناً أن عينه الأخرى تنظر

هناك ، إلى أعلى السلم رانية إلى المعلم :

— خذ . وهات لنا فطوراً . واطلب كوبين من الشاي . لنا هاه .

قنديل ؟ قنديل ؟ ..

كان محمود يتكلم منذ أم بعيد — لم يشعر قنديل بأنه يتكلم إلا حين

هر يده بمظف . لم يكن يجب هذا العطف من أحد . حتى من محمود ،

حتى من خالقه ذاته . تركه محمود مع نفسه . بينما راح هو يرتدي

ملابسه عابس الوجه . كان الجوع قارحاً يقرص أمعاء قنديل . بينما انزلق على

لسانه طعم حلو لكسرة خبز ، ورن في سمعه صوت خيالي لرشقة صغيرة من
الشاي . وراح يبتسم في سره بسمه صغيرة وعيناه مغمورتان بالدموع .
والتسم الطعم الحلو فجأة في حلقه بطعم آخر لزج ، مر ، كالليمون ، كالدلم .
وظفا في سمعه صوت المعلم :

— كل عام وأنتم بخير . كل عام وأنتم بخير ..

وراح الصوت يعلو مردداً ، بطنين داو :

— كل عام وأنتم بخير . كل عام وأنتم بخير

بينما امتلاً رأس قنديل بقطع القماش ، وأوراق اللحم المصبوغة بالدم .
تطلع حوله باحثاً عن محمود . كان قد ذهب . كانت يده فارغة ..

« لقد نزل لي بطعام . يجب أن أكف عن هذه الشحاذة . عن قبول

الإحسان »

.. انفجر قنديل يبكي ، وحده ، بحرقه . كان يحتاجه إحساس مر بافوان .

كان مستنداً إلى عمود السرير الذي راح يرتجف بدوره مع نشيجه . كان عقله
يمتلئ الآن بصفاء حار ..

« .. ليست دنيابي هنا . ليس محمود من عالمي . يده لم تتحرك بالفارة مرة .

لم تتحت الخشب بالأزميل . لم يتفصد العرق من جبينه ساعة واحدة من النهار .

أوه .. يجب أن أذهب قبل أن يعود . لقد طلب مني أن أنتظر . ساذب إلى

الورشة . لن أبقى هنا . سوف يشتري خليل ، أو صديق ، سندويتشاً نقتسمه

معاً . أقسم أنني لن أسرق ، ولن أتسول ، حتى ولو مت جوعاً . سوف

أذترع حقي وحق خليل ، وصديق ، ومتبولي ، وزيمهم ، وحق الجميع

في الورشة . لكن . كيف ؟ سيساعدوني على أي حال . ان نكون أبداً معصرة

يعصر فيها المعلم الليمون »

أخذ قنديل يحفف دموعه بطرف كفه . كان وجهه قاسياً كوجه شهيد ، وهو

يسير بإصرار ، عبر الردهة ، وفوق السلم ، ثم .. في أرض الشارع ، في

وسطه تماماً ، حيث لا تحجبه الأعمدة ، ولا تواريه السقوف . سمع قنديل

صوت محمود يناديه . لكنه لم يلتفت نحوه . لقد كان في وسط السلم ينظر

بنصف وجهه إلى المعلم ، أما هو ، فإنه ما يزال هناك في أسفل السلم ، هو

والآخرون ، والعرق يتفصد على وجوههم محتاطاً بنشارة الخشب ، وذرات

التراب . غرق قنديل في وميض وهمي ، راح يحلم بارض مستوية ، ليس

فيها من درج على الإطلاق . على حين كانت قدماه تشقان طريقها وسط ميدان

الحازندار . وكانت الشمس ترتفع فوق أشجار الأزبكية ، كاسية أرض

الميدان تحت أقدام السائرين ، باعثة الدفء .. والنور ، غامرة العالم كله

بوميض وهمي .. لا ينظفي ..

سليان فياض

بيروت

جمال الدين

اختصاصي لتجليد الكتب والمجلات

والدفاتر التجارية

بناية الثياتر والكبير — بيروت — لبنان